

الاستشراق في ميزان الإسلام



د / أحمد عبد الهادي شاهين

مدرس بقسم الدعوة

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ

بَسِيمَاهُمْ وَلَتَعَرَفْنَاهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ

وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾

صدق الله العظيم. سورة محمد الآية (٣٠).

مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وعلى آله
وصحبه ومن وآله.

وبعد...

فلن دراسة أية قضية دراسة عملية تحتاج إلى موضوعية
وإنصاف، فنبتعد للباحث عن التأثير العاطفي، والتحامل والتجريح، من
أجل الوصول إلى الحق والصواب، الذي هو هدف الباحث وغايته.

وموضوع الدراسات الاستشراقية يقع فيه بعض المدارس بين
مؤيد ومعارض، بين من يقلل كل ما جاء من الغرب من دراسات
 وجهود وفكر ، وبين من يخلق الباب في وجه ذلك كله ، ويرفض
 الحديث مع المستشرقين ، أو للتداول معهم.

وأقول: إن الدراسات الاستشراقية في ميزان الإسلام لها
عطيها، فالمستشرقون ليسوا على درجة واحدة، فمثلهم المقتصد، ومنهم
المتغالي، وجهودهم فيها ما يحمده وما يذم، وما يحب وما يكره،
والإنصاف لأدب إسلامي أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَا
يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هَوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (١)

ويلبغى أن نفرق بين الفكر والجهود، فالجهود تقبل وتراجع،
والفكر يمحس ويوضع تحت المجهر ، وللأسف الشديد فإن أغلب فكر

(١) سورة المائدة الآية (٨).

المستشرقين فيه خداع وتضليل ، وفيه نزعات عدائية وعدوانية ، تسيل أقلام المفرضين منهم بمداد أسود ، يخرف بها في قلوبهم من حقد وحسد ، لتثويه الصفحات المشرقة من تاريخ الإسلام ، وفتوحاته وحضارته .

وقليل منهم من يلتزم بالتجرد والنزاهة ، والبعد عن التحامل ، وغالباً هذا الصنف ينتهي المطاف به ، ويرسى قواعده في اعتناق الإسلام والدخول فيه ، ثم يقوم بدوره الفعال في كشف المخططات الغربية التي تستهدف الإسلام والمسلمين ، عقيدة وشريعة ديناً ودولة .

والدراسات الاستشراقية هي صورة من صور الغزو الفكري ، الذي يستهدف أحر وأعلى ما في الإنسان المسلم من قلب وعقل ، أما القلب فهو محل العقيدة والإيمان ، وأما العقل فهو وعاء العلم والفكر ، فهم يريدون مسلمين بلا إسلام ، ويريدون إسلاماً بلا عقيدة ، ويريدون عقيدة بلا جهاد .

وبذلك هدف الاستشراق من خلال أبحاثه ودراساته في :
 ١- جعل على معرفة استكشاف مواطن القوى عند المسلمين ، ليعمل على ضربها وإضعافها ، وإصابتها في مقتل ، لا تقوم بعدها للمسلمين قائمة ، أو التشكيك في أصول الإسلام وقيمه ومبادئه وأخلاقه ، أو النيل من تعاليمه وآدابه ، وإضعاف أثر الإسلام في نفوس المسلمين للاستيلاء على خيراتهم هو نهاية آمالهم ، ومنتهى غايتهم .

وثمة دور آخر يقوم به الاستشراق ، ألا وهو خدمة الاستعمار والتتصير ، وذلك عن طريق البحوث التي تعطى المستعمر والمنصهر

معلومات واسعة عن البلاد القادم إليها ، فيصبح الطريق أمامه سهلاً ممهداً ، فيحتل البلاد ، ويتصر المبدأ ، ولا يستطيع أحد أن يقف له بالمرصاد .

وإذا كان الاستشراق لون من ألوان الغزو الفكري ، البديل عن الغزو العسكري - بعد فشلهم فيه - فهم يستخدمون جميع الحيل والوسائل غير المشروعة المتاحة لديهم ، يلبسون الحق بالباطل ، والمعروف بالمنكر ، فلغاية عندهم تيرر الوسيلة ، وكل زمان له أساليبه ووسائله التي تتفق في النهاية مع أهدافهم وغايتهم ، قال تعالى: ﴿لَوْ أَن تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾^(١) والغرض من ذلك كله ، إنما هو صد المسلمين عن دينهم ، أو تشكيكهم فيه ، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُوكُم حَتَّىٰ يَزِدَّوَكُم عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾^(٢) ، فالحرب من جهتهم متجددة رمتمة وقائمة حتى قيام الساعة . إن المعركة بيننا وبينهم باللغة الصعوبة ؛ لأن الاستشراق يستهدف تشكيك الأمة في كتابها ، وتراثها ، وتاريخها ، وعدم قدرة الأجيال المعاصرة على الوصول إلى ما وصل إليه السلف من فتوحات وتمكين ، وتقدم في مختلف الحياة ، فنترك لهم الساحة دون منافسة أو نزال ، ويصبح الغرب هو الفارس الأوحده في الميدان من غير أن يباذره أحد من الناس .

ومن ثم كان الاستشراق يحتاج لمن يتصدى له ، ليهلك مكره ، وبين عورة . ويوضح سرجه ، ويكشف عن نواياه ، فأهدافه في مجموعها غير نبيلة ، ووسائله غير شريفة ، ومقاصده غير حميدة .

(١) سورة البقرة الآية (١٢٠).

(٢) سورة البقرة الآية (٢١٧).

وتأتى هذه الدراسة بمثابة مدخل للتعرف على الدراسات الاستشراقية والمستشرقين، ووضعهم في ميزان الإسلام، من أجل أن نتصدى لمحاول الهدم، ونكتف عوامل الإصلاح والبناء، ومن أجل توعية للقارئ المسلم على وجه العموم، والدارسين للعلوم الشرعية في جامعة الأزهر المعمور على وجه الخصوص. (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) (١).

وتتكون هذه الدراسة من تسعة محاور.

المبحث الأول: تعريف الاستشراق ونشأته وتطوره.

المبحث الثاني: دواعي المستشرقين

المبحث الثالث: أهداف المستشرقين.

المبحث الرابع: وسائل المستشرقين.

المبحث الخامس: منهج المستشرقين في دراسة العلوم الإسلامية.

المبحث السادس: تصنيف المستشرقين واتجاهاتهم

المبحث السابع: علاقة الاستشراق بالاستعمار والتتصير الصهيونية.

المبحث الثامن: آثار الاستشراق في المجتمعات الإسلامية.

المبحث التاسع: موقف المسلمين من الاستشراق.

(١) سورة هود الآية (٨٨).

المبحث الأول

تعريف الاستشراق ونشأته وتطوره.

تعريف كلمة الاستشراق في اللغة:

لم ترد هذه الكلمة في المعاجم اللغوية القديمة ، لأنها من الألفاظ المستعدة وإن كان معناها قديم ، فهي قديمة المعنى حديثة المبنى.

وقد ورد أصل هذه الكلمة من الناحية اللغوية في بعض المعاجم الحديثة ، مثل المعجم الوسيط ، ومن اللغة:

فكلمة الاستشراق مأخوذة من الفعل الثلاثي (شرق) جاء في المعجم الوسيط عن معنى كلمة (شرق) : (اتجه نحو الشرق. فيقال (شرق) أي أخذ في ناحية الشرق ، والمشرق جهة شروق الشمس. ومعنى شجرة شرقية: أي تطلع عليها الشمس من شروقها إلى نصف النهار)^(١)

والخلاصة: أن كلمة الاستشراق في اللغة العربية مشتقة من الفعل الثلاثي (شرق) ثم زيد على الفعل الهمزة والسين والتاء ليفيد الطلب فيكون معناها: الاتجاه نحو الشرق ، وذلك لدراسة علومه وأدابه.

(١) انظر المعجم الوسيط ١/٩٩ ط / مجمع اللغة العربية ط / الثالثة سنة ١٤٠٥ هـ -
سنة ١٩٨٥ م.

وقد جاء هذا المعنى في معجم متن اللغة حيث يقول مؤلفه:
(استشرق: طلب علوم الشرق ومؤلفاتهم ، يقال لمن يعنى بذلك من
علماء الفرنجة)^(١)

وعلى ذلك فكل من قام من الغرب بدراسة علوم الشرق
المختلفة يطلق عليه مستشرق.

تعريف كلمة الاستشراق في الاصطلاح:

صُرِفَ الاستشراق في الاصطلاح بتعريفات كثيرة ، اختلفت في
ألفاظها وأسلوبها إلا أنها تتفق في مضمونها ومعانيها ، وبعض هذه
التعريفات يفيد التعميم ، وبعضها يفيد التخصيص ، وهي في جملة لا
تعدى هذا التعريف الذي يذكره د/ محمود زقزوق ، وهو من المعنيين
بدراسة الاستشراق فيقول الاستشراق: (يعنى الدراسات الغربية
المتعلقة بالشرق الإسلامي ، في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده
وتشريعاته وحضارته بوجه عام)^(٢)

وجاء في الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة
ما يوافق هذا التعريف السابق ويؤكدده، فقد جاء فيها عن الاستشراق:
(هو ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن
للشرق الإسلامي والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته،

(١) معجم متن اللغة لأحمد رضا ٣/ ٢١١ ط/ بيروت سنة ١٩٨٥م.

(٢) الاستشراق د/ محمود حمدي زقزوق ص ١٨ ط/ دار المعارف سنة ١٩٩٧م

ونقد أسهم حد. التفكير في صبغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما^(١) في هذا التيار الفكري وخاصة من المستشرقين القدماء هم الذين صنعوا ورسموا التصورات الغربية للخاطئة عن الإسلام، فكتباتهم تعد هي المعبر الأول التي انطلقت منها الأفكار الغربية المحتملة على الإسلام الآن، والتي لا زالت مسلمات عندهم يتوارثونها جيلاً بعد جيل.

ومما سبق يتبين أن الاستشراق: نشاط وجهد علمي، يقوم به بعض علماء الغرب، لدراسة أحوال الشرق في الدين والفكر والأدب والحضارة وغير ذلك تحت مظهر وهداب معينة.

وأما كلمة مستشرق فهي كلمة تطلق على (كس عالم عربي يشغل بدراسة الشرق كله أخصه ووسطه وأبناءه في لغاته وآدبه وحضارته وأديانه)^(٢) يقول مالك بن نبي (يعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يختبرون عن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية)^(٣)

ويستفيد أخصب من تعريف كلمة مستشرق: أن المستشرقين ليسوا من بقعة واحدة، بل هم من تون وكازاب متعددة، وأصحاب ديانات مختلفة، قد تكون يهودية أو نصرانية أو شيعية أو غير ذلك.

(١) الموسوعة العبرية في الأدب والمذهب المعاصر ص ٣٣ النبوة العالمية بالكتاب الإسلامي بالرياض سنة ١٤٠٩هـ

(٢) الاستشراق د/ محمود حمدي رزوقي ص ٥

(٣) فتح للمستشرقين وأثره على الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي ص ٧ د/ مكينة عمارة بالقاهرة سنة ١٩٧٠هـ.

وفي الخالب أن براسهم حور لإسلام در سلات موجهه ، لها أهداف وغايات محددة ، يقصد لأهمية على الشرق ، وجعله تابعاً للغرب في كل شيء ، من أجل الاستيلاء على حيزاته ، وتعبير معتقد فيه

نشأة الاستشراق وتاريخه:

هناك خلاف بين الباحثين حول تحديد البداية الحقيقية للاستشراق ، خاصة أن الدراسات الاستشرافية كانت متنوعة ، منها ما هو مبني عن طريق الأدب والمؤسسات والحكام ، ومنها ما هو فردي عن طريق الأفراد والأشخاص ، ومن ثم اختلفت رؤى الباحثين في تحديد نشأة الاستشراق وبتدريج على وجه التقريب من أجل التوصل إلى فترة زمنية محددة تكون هي بداية الدراسات الاستشرافية ، ويمكن حصر نشأة الاستشراق في عدة نقاط أهمها فيما يأتي

١- يمكن أن يكون هناك اتفاق بين الباحثين في أن المسلمين الأوائل في نهاية القرن الأول الهجري حينما فتحوا الأندلس ، وغرروا الإسلام التي رانية في عقر دارها ، ووضع المسمون نهضة علمية وثقافية في مختلف العلوم ، حينئذ قصد الرهبان من النصاري الأندلس لدراسة هذه العلوم ، وحينما عادوا إلى بلادهم قاموا بشرها بين قومهم ، ومن ثم بعد هذه الدراسات هي لتدريج أولية لدراسات الاستشرافية^١

١ (انظر الاستشراق والمستشرقون ما فهم وما عليهم د/ مصطفى السيد في ص ١٣ ١٤ ط/المكتب الإسلامي الثاني سنة ٥ ، د ٩٨٥ م

ولم يكر الدافع من " هبار هو نقل العلوم والثقافة العربية إلى
بندهم ، إنما أرادوا أن يعرفوا طبيعته هذا الدين الجديد المانع بلادهم ،
وطبيعة العقول والرجال الذين يحملون هذا الدين ، وما اسبب يخوفهم
وانتصاراتهم ، بالإضافة إلى الموقف على بعض العادات والتقاليد
والآداب والصفات الخاصة بالمسلمين الفاضلين

ويمتد من ذلك أن الدراسات الاستشرافية قامت بدائيتها على
أيدي وسواعد الرهبان ، ورجال الدين من النصارى ، فهم كانوا
طلائمه ، كما أنهم كانوا نشطين في تشويه صورة الإسلام وعالمه
عند اتباع دينهم ، حتى يوقفوا هذا الحرف الإسلامي القادم إلى بلادهم
يقول د / محمود رفروق (ويش هياك شك في أن الانتشار
لميرج الإسلام في المشرق والمغرب قد بلغت أنظار رجال الفلاسفة
المسيحيين إلى هذا الدين ، ومن هنا بدأ اهتمامهم بالإسلام ودراسته ،
ومن بين العلماء المسيحيين الذين أظهروا في وقت مبكر اهتمام
بدراسة الإسلام لا من أجل اعتناقه وإنما من أجل حماية إخوانهم
في الدين منه - كان العالم المسيحي (يوجن الدمشقي) (٦٧٦م
٧٤٩م) ومن بين مصنفاته في هذا الصدد لإخوانه في الشرق كتاب
(محاورة مع مسلم) وكتب (إشادات النصارى في جنس المسلمين)^١

٢- ويرى صاحب كتاب (المبشرون) (أن بداية الاستشراق ترجع إلى القرن العاشر الميلادي ، وقام في كتابه بذكر طلائع المستشرقين ابتداء من هذا التاريخ حتى القرن العشرين الميلادي) (١).

ويذكر د/ مصطفى السباعي أن (من أوائل الرهبان المراهب القريسمى (جربوب) الذي انتخب بابا لكيسة رومانيا عام (٩١٩) بعد تنعمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده، ومنهم المراهب (بطرس المحيرم ١٠٩٢ - ١١٥٩) ومنهم المراهب (جيرارد كزيمون ١١٨٧/١٢)

٣- وبعض الباحثين يذهب إلى القول بأن البدايات لاوسى للاستشراق ترجع إلى مطلع القرن الحادي عشر الميلادي

٤- بينما يرى (رودي بشارب) أن بدايات الدراسات الإسلامية والعربية في أوروبا تعود إلى القرن الثاني عشر الذي تمت لأول مرة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية كما ظهر في القرن نفسه أول قاموس لاتيني عربي.

٥- وبعض الباحثين يشير إلى أن العرب يؤرخ لبداية وجود الاستشراق الرسمي بصور قرار مجمع (فيست) الكنسي في عام سنة ٣١٢ م بإشباع عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات

(١) المستشرقون نجيب المعلى ص ١٦ / دار المعارف ط ٤ الرابعة

(٢) الاستشراق والمستشرقون منهم وما عليهم د. مصطفى السباعي ص ١٤

الأوربية ، ولكن لإساره قد إلى الاستشراف الرسمي ليس على أنه
كان هناك استشراف غير رسمي قبل هذا التاريخ^(١)

ويمكن القول من سبق ، أن الاستشراف قد شأ في وقت مبكر
جدا ، بعد ظهور الإسلام وفنوحاته الواسعة ، في نهاية القرن الأول
الهجري ، وفي ميثاق قد بدأ بداية سيمية دفاعية حيما قام الرهبان
بدراسة العلوم الإسلامية والعربية في الأندلس ، ثم تصور بعد الحروب
الصليبية واتجه اتجاه عدوانيا هجوميا كنوع من الصراع بين العالم
العربي المصري والعالم الشرقي المسلم

♦♦♦♦♦

تطور الدراسات الاستشرافية:

تبين من سبق من الرهبان ورجال الدين النصارى تتلمذوا
على يد علماء المسلمين في الأسلم ، في مختلف العلوم والفنون ،
وقاموا بترجمة هذه العلوم إلى لغاتهم ، ونفذوا مهام الكنائس العربية
إلى بلادهم ، وقاموا بترجمة معاني القرآن الكريم ، ووضع قاموس
لاتيني عربي

وحين قام الحروب الصليبية جعلت العول العربية إلى
النصب نأريين ، وإرهابا . وح أعداء تجاه الإسلام والمسلمين ، وقد
دفعهم هذه الروح لمحاولة التفوق على المسلمين فكريا وحضاريا

(١) الاستشراف د. محمود حمدي رفوق ص ١٩٠١٨

فقد تم بإنشاء المدارس والمعاهد ومراكز التنظيم والجمعيات للدراسات الشرقية، وتحلوا فيها اللغة العربية وأدبها، وكثفوا بترجمة كتب المسلمين في مختلف العلوم والفنون إلى اللغات الأوروبية، وكان ذلك سببا في نهضة أوروب بعد فشل الحروب الصليبية، وكانت هذه الدراسات موجهة بالحدود على الإسلام والنيل من تعاليمه، واستخدم العنف والقوة والإرهاب ضد المسلمين، من أجل جعلهم على التنصير، وقد ظهرت في هذه المرحلة محاذير التنقيش

وحيثما خرج المسلمون من الأندلس وجاء الفتح النمساوي لمواجهة دول أورب، فأسقطت الدولة البيزنطية، ثم جاءت الهجمة الاستعمارية على الدولة العثمانية في صدها، بسبب اهتمامها بالعلوم الشرعية دول العلوم التطبيقية، فأحسست الدولة بالخطر القادم عندها وقامت بالتصدي له إلى أن سقطت عنها بعد مرحلة صد وجدر، عبر فترة طويلة من الزمن.

وفي مطلع القرن الثامن عشر الميلادي سبغت دائرة الدراسات الاستشرافية، وبيع عدد من المستشرقين في جامعات أورب، وقاموا بإصدار المجلات، وعقد للمؤتمرات، لنباش الأبحاث والحوارات، وكانت نتائج دراساتهم وأبحاثهم هي الركيزة المسيرة مهدت الطريق أمام المستعمرين والمبصرين الذين احتلوا بلاد المسلمين.

وفي العصر الحديث تطورت وسائل المستشرقين من الهجوم المباشر إلى الهجوم الخفي، ومسحقت أساليب جديدة بما يتناسب مع صيغة المرحلة، حتى وصفت الحركة الاستشرافية إلى أوجها في نهاية القرن التاسع عشر، فظهر مؤلفاتهم التي تعج بالطعن في الإسلام،

وَأعدوا تلامذة من المسلمين العرب بقوموهم مغريب المسلمين ، وبيعته
 منهم لأوربا وأمريكا ، وقد نجح المستشرقون في ذلك نجاح
 ملحوظ ، والواقع المتفهد خير دليل على ذلك ، فرأيك آثار
 المستشرقين ودراساتهم في حياتك الاجتماعية والسياسية والتعليمية
 والإعلامية وفي كل مجال من مجالات الحياة المعاصرة

ذلك كانت بحجة منحصرة عن شأن الاستشراق وسريجه
 وتطور . إلى أن وصل إلى المرحلة التي هو عليها الآن ، فبهي
 الدواعي الحقيقية التي تقف وراء الدراسة الاستشرقية ؟
 هذه ما سيتضح من خلال الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى .

♦♦♦♦♦

المبحث الثاني

دوافع المستشرقين

لم يكن الدافع وراء الدراسات الاستشراقية دفع البحث العلمي المجرد للزينة ولا يتطهرو بذلك - وإنما كانت هناك عدة دوافع متعددة ومتنوعة ، تقف جميعها خلف الدراسات الاستشراقية قديماً وحديثاً ، وتهدف في النهاية إلى تصحيح الإسلام في نفوس المسلمين ، والامتلاء على حبرائهم ، وجعل العالم العربي الإسلامي تابعاً للعالم العربي النصراني ، ويمكن إجمال هذه الدوافع فيما يأتي

- ١- الدافع الديني.
- ٢- الدافع العلمي.
- ٣- الدافع السياسي
- ٤- الدافع الاقتصادي
- ٥- الدافع الاستعماري.

أولاً: الدافع الديني:

من خلال دراسة نشأة الاستشراق وتطوره نبيس أن الدافع الديني هو الأساس في ذلك ، فقد حاول رجال الدين النصراني بالوقوف أمام رجع الإسلام للقدام إليهم في ملائهم ففرو عدة أمور -

- ١- مواجهة هذا الدين عن طريق دراسته أولاً ، ثم البحث عن نقاط ضعفه ؛ لإبرازها وتصحيحها وإثارة الشبهات حولها ، خاصة حول الرسول ﷺ وتشريعات الإسلام في العبادات والمعاملات

٢ اتهام الإسلام بأنه ليس ثم يالده بجيد فليس تعاليمه مأجوده من اليهوديه والنصرانية ، ومن ثم فلا حاجه إليه

٣ محاوله حجب حقائق الإسلام وتعاليمه للمسلمين عن أبنائهم من النصراني ، وبذلك تشويه تعاليمه ، والإفتراء عليه كذباً بهتاناً ، ومن ثم لا يذهب نصراني فى هذا الدين لأنهم وصغروا لصوراً غريبة تحول بين أبنائهم وتعاليم الإسلام^(١).

يقول د/ محمد حنيفه حسن (فصوره الإسلام خارج للعالم الإسلامى يتم تشويهها ، وتقدمها فى صورة مزيفه غير حقيقية بواسطة الاستشراق ، وهى صورة تعطى انطباعاً سديماً للإسلام كدين وحصره فى ذهن الإنسان الذى تلقى معرفته عن الإسلام من خلال المستشرقين الذى يمثلون المصدر المعرفى الأساسى لمعلومات الخاصة بالإسلام وبالمجتمعات الإسلامية)^(٢)

ويقصده المستشرقون من وراء تشويه صورته الإسلام فى الغرب ، وإظهاره بصورة خاطئه ، وتقديم صورته بعيدة كل البعد عن الإسلام ، لئلا يتعرف العرب عليه معرفته الحقيقية وصحيحه ليسشر بينهم هذا الدين ، ويتدخل أبنائهم فيه.

٤ حاول المصنفون لتساع رقعة النصرانية على مساحة الكرة الأرضيه ، فكرتو جهودهم للتصوير فى كل مكان ، ومن أجل نجاح هذه الاهداف لابد من الدراسات الاستشراقية التى تمهد الطريق

(١) انظر الاستشراق د/ محمود رابوق ص ٧٥

(٢) انظر للفكر الاستشراقى د/ محمد حنيفه حسن ص ١٩ ط عين الدراسات والبحوث

الإنسانية والاجتماعيه ط/ الأوس سنة ١٩٩٧م.

(١٩٩٥)

أمام التفتيش بدراسة طوائف الشعوب، وكتافه المكس، واستغلال الفقر، والجهل والعرص، ومعرفة عادات الشعوب ونفائدها، ولا يتم ذلك كله إلا برؤية لغير الإسلام، وعلوه وانعكاسه إلى آخره.

ويستدل من ذلك أن الدافع الديني هو المحور الأساسي الذي تسبب في وجود الاستشراق، فهو صورة جديدة من صور الصراع بين الحق والباطل، بين ما بقي من اليهودية والنصرانية من عقائد وتعاليم، بعدت عن صورتها الأولى للمسيحية على موسى وعيسى عليهما السلام - وبين هذه الرسالة الربوبية الشاملة التي أرسلت على حاتم المرسلين ﷺ، أو هو صراع بين العزب النصراني والشرق الإسلامي، ولا يستطيع أي باحث أو دارس للاستشراق وبواقعه، أن ينكر أن الدافع الديني والعقدي هو الأساس والمطلق الرئيسي للدراسات الاستشرقية.

•••••

الدافع العلمي:

تعددت درجات المستشرقين في الإقبال على دراسة العلوم الإنسانية، فمنهم من كان ينفعه الرغبة في حب لا طائل من حصوله للشرق، وثقافته المختلفة والأوسع، فاستفادة من مزاجه - ومن هذه الخبرة إلى بني قومه، وهذا الصف من المستشرقين تكاد تكون أبحاثهم تقرد إلى المصنوع وإلى المصنوع العلمي الصحيح، لا سيما حين يتوافر الإنفاق العادي على مشروعاته وأبحاثه ودراساته العلمية، هذا الصف أيضا من المستشرقين تغفل أخطاؤهم

واستندجائهم بسبب جهلهم بمرح الحجة العربية وطبيعة لأعراف التي تغلب على البلاد العربية ومختلف عن البلاد العربية

في هذا الصنف من المستشرقين غالب ما يجدون صعوبة كثير في طريقهم ، فيدفعونهم إلى إصاف غالب ، إذ إنهم عرضة لتجاهل لأعظمي ، ويوجه إليهم لانتهاكات بالسعي وراء عواطفهم في مجاملة المسلمين للتقرب إليهم

وقد ظهر هذا جيد في السنوات الأخيرة حيثما وجه المستشرق رجاء جاروني عدة اتهامات بعد صدور كتابه الأساطير المؤسسة بسمية الأسر بؤيته محروكم ودفع انهم غالب ، حكم بالسجن وخربة مالية كبيرة.

ومن الجدير بالذكر أن حجم البحث العلمي المجرب عن لإسلام فنزل جد ، أو يكاد يكون نادراً ، أم العالوية العظمى من المستشرقين ولم ينتزموا بالموصوعية والإصاف ، وبما ذهب عليهم انهم الهوى ، والسر والحرية ، فجدعت مؤلفاتهم تطرح بالتص في مبادئ لإسلام وقيمته ، عهده وشريعته وأسماء هؤلاء كتسيرة ، ومؤلفاتهم عدده ، فالمدافع العجمي كان موجه للبر من لإسلام وتثوبه صورته ، أي لخدمة المدافع الديني.

♦ ♦ ♦ ♦ ♦

المدافع الاقتصادية.

قد حث الله سبحانه وتعالى العالم العربي بحرية كبره لا تحصى ، وفيه الشروات لطبيعته من الماء والمعادن والبرول

المواد الخام ، والموقع للجمر في الممبير ، والأبدي البشرية العمله
كل هذه لثروات ، وعجزها جعلت العالم العربي مطعم لكثير من الدول
للغربية فهو " في العالم العربي - بالعصبه لهم مصدر للمواد الخام
للرعيصه ، كما أنه سوق لتوزيع والاستهلاك

ومن هنا دعم العربيسون الدراسات الاستشرافية ، لدراسة
جغرافية العالم الإسلامي ، وتوزيع المعاني في باطن الارض ،
وصرف المواصلات التي تربط بين الشرق والغرب ، وأنفقوا على هذه
الدراسات أموالاً طائلة لأجل في النهاية تحسم الدول العربية في بعض
نفودها الاقتصادية على العالم العربي

♦♦♦♦♦

الدافع الاستعماري :

حينما فشلت الحروب الصليبية في سيطرتها على الشرق
الإسلامي عسكرياً ، اتجهوا إلى لون آخر من ألوان العزو - وهو
العزو الفكري - لميمهد الطريق إلى الاحتلال دور معوميه ، فكانت
البرلمانت الاستشرافية التي درست كل ما يتعلق بالعالم الإسلامي من
علوم وثقافات ، وتاريخ ودين ، واستطاعوا من خلال نتائج هذه
الدراسة أن يصنعوا روح المعادسة في نفوس المسلمين ، إلى أن
سيطروا على للعالم العربي كله ، ما عدا شبه الجزيرة العربية

ولم يصل العرب إلى ذلك كله إلا بعد تكريس طائفة من
المستشرقين ، اشدقوا عليهم لأموال ، وجسدهم لخدمه أطماعه
وماربه ، والوصول إلى عبيده وقد نقل د/ رفروق عن بعض
المستشرقين ما .

يؤيد ذلك فيقول المستشرق الألماني أوليسریت هارمان (كانت للدراسات الألمانية حول العالم الإسلامي قبل عام ١٩١٩م أقل براءة وصفاء نية فقد كان (كارل هينريش بيكر) وهو من كبار مستشرقينا متغصناً في النشاطات السياسية حتى إنه أصبح في عام ١٩١٤م شديد الحماس لمخطط استخدام الإسلام في أفريقيا^(١).

الدافع السياسي:

لقد رزخت الدول العربية فترة طويلة تحسب الاحتلال الغربي الغشوم، وقد استهدف من الأمة الإسلامية عقيدتها ولسانها، وبعد أن استطاع أن ينشئ طبقة بديلة من أبناء البلاد الأصلية، ترك لهم البلاد، وسلم لهم الأمور شريطة أن تسير وفق هواه.

ومن الأمور الجديرة بالذكر (أن كل دولة عربية بها ملحق ثقافي لكل دولة من دول أوروبا وأمريكا، ويحاول ذلك الملحق أن يتصل برجال الفكر والصحافة والسياسة ويثبت إليهم سياسة دولته، وهذا الملحق يجيد اللغة العربية، ودراسة نفسية المسئولين، وكيف ينفذ إليها؟ ويدرس مواطن الضعف في سياستهم وبالتالي يسهل للطريق أمام الغرب لفرض سياستهم الخارجية.

(١) الاستشراق د/ محمود حمدي زقزوق ص ٤٨.

بل إن جميع رؤساء الدول الغربية على صلة قوية بأساتذة الجامعات المعنيين بالدراسات الاستشراقية ، وذلك للرجوع إليهم ، والاستفادة من آرائهم تجاه القرارات المتعلقة بالشرق الإسلامي^(١).

(١) الاستشراق د/ محمود حمدي زقزوق ص ٥٠٠ بتصرف.

المبحث الثالث

أهداف المستشرقين

إذا كانت الدراسات الاستشراقية قامت تحت دوافع متعددة ومختلفة كما سبق بيانها ، فإنها وضعت لها عدة أهداف من أجل تحقيقها، والوصول إليها، فلجأهم في الدراسات الاستشراقية يتوقف على تحقيق هذه الأهداف ، أو جزء منها ، سواء على المدى البعيد أو القريب ، ومن بين هذه الأهداف ما يأتي:-

١- النيل من تعاليم الإسلام، وإضعاف أثره في نفوس المسلمين.

حاول المستشرقون منذ فترات طويلة وبعد دراسات واسعة ومكثفة حول الإسلام وقيمته وأخلاقه ، أن يلقوا على مواطن القوة فيه، ثم يقوموا بتركيز سهامهم الضارية نحوه ، لإصابته ، فإن لم تقتله هذه السهام جرخته وألحقته.

وقد عملوا من أجل إنجاح هذا الهدف بنشر عدة ثورات فكرية هدامة في بلاد المسلمين ، ولجأوا تلاميذ لهم من المسلمين العرب، يحملون هذه الأفكار الهدمة ومن بينها:-

(الوجودية)^(١) : وهي التي تؤمن بالموجود والمعسوس المشاهد فقط، مما يخضع للعقل ، ويشاهد بالعين ولمس باليد ، فهذا هو الذي يجب الإيمان به ، وما لم يثبت بالملاحظة فلا وجود له ، وبالتالي يعتقد هذا

(١) واضح هذه الفلسفة هو سارتر، وهو من أم يهودية، وله ميول وتعاظم مع المسيحية، وفلسفته تقوم على إلحاد والإباحية، وانحراف من الدين والقيم والأخلاق.

التيار الفكري إلى إنكار وجود الله - سبحانه وتعالى - بكل إنكار جميع الأمور السمعية والغيبية المتعلقة باليوم الآخر ، وما فيه من ثواب وعقاب ، وميزان وصراف ، وجنة ونار .

وهذا كله لون من الإلحاد ، ومن عمل المستشرقين اليهود الذين سعيوا إلى نشره وترويجه ، يقول د/ عبد الستار فتح الله سعيد: (فاليهود أساتذة الإلحاد العالمي ، ومعلموه ، ونشروه ، ودعائمه وفلاسفته المبكرون!! ، واليهود الذين لقنوا للفكر للمعاصر كل نظريات الإلحاد والإفساد ، كفكرة تطور الأديان ، وأنها اختراع بشري ، حتى قالوا إن الله - تعالى شأنه - فكرة اخترعها الإنسان ، فالإنسان خالق للفكرة وليس مخلوقاً ، بل قالوا في جرأة وقحة (إن الله مات) تعالى ربنا عما يقولون علواً كبيراً^(١) .

لقد اخترع المستشرقون هذه الأفكار وأوجدوا أساتذة منهم يحملونها ، ثم ينفذونها إلى تلامذتهم في بلاد المسلمين ؛ ليعملوا على نشرها وبثها بين الطلاب المسلمين ، في الجامعات والمعاهد والمدارس ، فتهتز المعاني الإسلامية في نفوسهم ، ويضعف أثر الإسلام في قلوبهم ، ويصبحوا لديهم القليلية لتشكيل عقولهم ، كما يريد المستشرقون لا كما يريد الإسلام .

الماسونية: وإذا كان اليهود يقفون وراء الوجودية الإلحادية فإنهم أيضاً هم الذين أسسوا وصنعوا الماسونية العالمية ، فقد نشأت

(١) معركة الوجود بين القرآن والتطور د/ عبد الستار فتح الله سعيد ص ١١٧ . دار النشوء والنشر الإسلامية ط/ السادسة سنة ١٤١٥ .